دلائــل الإعجاز

بسم ا الرحمن الرحيم .

فصل في اللفظ والاستعارة وشواهد تحليليّـَة للمعنى .

اعلمْ أنه لما كان الغلطُ الذي دخل على الناس في حديثِ اللفظ كالداء الذي يَسري في العروق ويُفسدُ مزاج البدن وجَبَ أن يتوخّـَى دائباً فيهم ما يتوخّـَاه الطبيبُ في النّـَاقِه من تَعَهّـُدِه بما يزيدُ في مُنّـَتِه ويُبقيه على صحتِه ويؤمّـِنُه النّـُكسَ في عِلّـته . وقد علمنا أن أصلَ الفسادِ وسَبَبَ الآفة هو ذهابُهم عن أنّـَ من شأن المعاني أن تختلف عليها الصُورُ وتحدثَ فيها خواصّ ومزايا من بعد أن لا تكونُ فإِنك ترى الشاعرَ قد عمَد إلى معنًى مبتذلٍ فصنعَ فيه ما يصنعُ الصانع الحاذقُ إذا هو أغربَ في صنعةِ خاتِم وعملِ شَنْفٍ وغيرهما من أصناف الحُليّ . فإِنّـَ جهلهم بذلك من حالها هو الذي أغواهُم واسْتَهواهُم وورّـَطهم فيما تورّـَطوا فيه من الجَهالات وأدّـَاهم إلى التعلّـُق بالمُحالات وذلك أنّـَهم لما جَهلوا شأنَ الصورة وضعوا لأنفُسِهم أساساً وبنوا على قاعدة فقالوا : إنه ليس إِلاّ المعنى واللفظُ ولا ثالثَ . وإنه إذا كان كذلك وجبَ إذا كان لأحدِ الكلامينِ فضيلة لا تكونُ للآخَرِ ثم كان الغرضُ من أحدهما هوَ الغرضَ من صاحبه أن يكونَ مرجعُ تلك الفضيلة إلى اللّـَفظ خاصة وأن يكونَ لها مرجعٌ إلى المعنى من حيثُ إنْ ذلك زعموا يؤدّـِي إلى التناقضِ وأن يكونَ معناهما متغايراً وغيرَ متغاير معاً . ولما أَقَرّـُوا هذا في نفوسهم حَملوا كلامَ العلماء في كلّـِ ما نسبوا فيه الفضيلةَ إلى اللفظ على ظاهره وأَبَوْا أن ينظُروا في الأوصافِ التي أتبعوها نسبتَهم الفضيلةَ إلى اللفظ مثل قولهم : لفظٌ متمكّـِنٌ غيرُ قلقٍ ولا نابٍ به موضعُه . إلى سائر ما ذكرنْاه قَبْلُ فيعلموا أنّـَهم لم يُوجِبوا للفظِ ما أَوجَبُوه من الفضيلةِ وهم يَعْنُون نطقَ اللسان وأجراسَ الحروف . ولكنْ جعلوا كالمُواضعة فيما بَيْنَهم أن يقولوا اللفظَ وهم يُريدون الصورة